دور أسر الأنبياء فى رسالتهم: دراسة تحليلة فى ضوء القرآن الكريم

لاصف مزهر الجبوري: طالب الدكتوراه، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم علوم القران والحديث، جامعة كاشان الحكومية، ايران

الإستاذ المشرف الأول: د حسين ستار، تدريسي في جامعة كاشان، ايران

الأستاذ المشرف الثانى:د مصطفى عباس
مقدم، تدريسي في جامعة كاشان، ايران

البريد الإلكتروني Email : asefbh l@gmail.com١

الكلمات المفتاحية: الرسالة السماوية، القران المجيد، النبى نوح، النبى لوط، النبى ابراهيم.

كيفية اقتباس البحث

الجبوري، لاصف مزهر، حسين ستار، مصطفى عباس، دور أسر الأنبياء فى رسالتهم: دراسة تحليلة فى ضوء القرآن الكريم ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٧ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Role of the Prophets' Families in Their Messages: An " "Analytical Study in Light of the Holy Qur'an

‘Jabouri: PhD Student-Lasef Mazhar Al
Faculty of Arts and Foreign Languages, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, University of Kashan, Iran

First Supervisor: Dr. Hussein Sattar, Lecturer at the
University of Kashan, Iran

Second Supervisor: Dr. ‘Mustafa Abbas Moqaddam
Lecturer at the University of Kashan, Iran

Keywords : Heavenly message, the glorious prophet, Noah, :Keywords .Prophet Lot, Prophet Abraham

How To Cite This Article
AL **jabourif Mazhar Al**,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2026,Volume:16,Issue 7.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

ABSTRACT:
The families of the prophets played a significant role in establishing the ing their enemies. This was pillars of their message and confront achieved by spreading their message, dispelling suspicions about them, adhering to their principles, serving as good successors to their predecessors, and defending them in various aspects. They were also, at he prophets. The Qur'an emphasizes the role of the times, enemies of t families of the prophets (peace be upon them). Therefore, we must address the most important educational and moral aspects derived from

ages the Prophets' concern for their families and their role in these mess through the Qur'an, using a descriptive and analytical approach. After studying the families of the prophets, they were prominent in many Quranic verses due to their positive or negative role. The purpose of lies was to highlight the narrating the stories of the prophetic fami religious duties that people have, such as supporting religion, following the truth, and avoiding polytheism. These were represented in two parts: some families had positive roles supporting the prophets, such as the story ariah and his wife, Job and his wife, and some families had of Zach negative roles, such as the family of Abraham, Lot and his wife, and Noah and his son. Due to the limited scope of the research, we focused in this w what should be avoided research on families with a negative role to sho of the forbidden things in raising Islamic families. These families were represented in three families: the family of Noah, Lot, and Abraham peace be upon them). The research concludes that the story of Noah) o support the messages, not oppose them, and to requires the husband t abandon the family who fights religion out of disbelief. It also demonstrates the ideal role of the father in advising his children. The story elieve of Lot and his wife also demonstrates that the Muslim wife must b in God Almighty, avoid disbelief, and not violate divine law. It also demonstrates that the husband must be firm with a wife who betrays her faith, as this can lead to destruction. The story of Abraham and his father eacher must possess the best morals and demonstrates that a righteous pr virtues, and be patient in calling his family. The Muslim preacher must begin his preaching with those closest to him, demonstrating to those he is o not calling the weakest of deities besides God Almighty, and that they d deserve worship. He must also forbid those he is calling to from obeying .Satan, which will ultimately lead to his worship

الملخص:

لعبت أسر الانبياء و عوائلهم دورا واسعا في تشييد اركان دعوتهم و القيام بوجه اعدائهم و ذلک من خلال نشر رسالتهم و دفع الشبهات عنهم و الالتزام بمبادئهم و ان يكونوا نعم خلف لخير سلف و الدفاع عنهم في شتى الاصعدة كما إنهم كانوا خصوما للأنبياء في بعض الأحيان. و كان القران يؤكد على دور أسر الانبياء (ع) ، لذا يجب أن نُعرِّجَ على أهمِّ الجوانب التربوية والأخلاقية المستنبطة من عناية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسرهم ودورهم في تلک الرسالات؛ من هنا تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور أسر الأنبياء في رسالاتهم من خلال القرآن الكريم، مع التركيز على الجوانب التربوية والأخلاقية. اعتمد البحث على المنهج الوصفي

التحليلي، وخلص إلى أن أسر الأنبياء لعبت أدوارًا إيجابية وسلبية في دعم أو معارضة الرسالات. كما بينت الدراسة أهمية الأسرة في نشر الدعوة ومواجهة التحديات..

بعد دراسة برزت أسر الأنبياء بجانبهم في كثير من الآيات القرانية وذلك نظرا الى دورها الايجابى أو السلبى وكان الغرض من سرد حكايات الاسر النبوية التنويه الى ما يتوجب على الناس من واجبات دينية مثل نصرة الدين واتباع الحق وتجنب الشرك وهى تمثلت في شقين فمنها ما كانت فيه الاسر ايجابية تناصر الانبياء مثل حكاية زكريا وزوجته وأيوب وزوجته ومنها ما كان دورها سلبيا مثل أسرة ابراهيم ع ولوط كع زوجته ونوح مع أبنه؛ ونظرا الى محدودية البحث فقد ركزنا في هذا البحث على الاسر ذات الدور السلبى لنبين ما يجب تجنبه من المحرمات في تربية الأسر الاسلامية وتمثلت في ثلاث أسر هى أسرة نوح ولوط وابراهيم (ع).

وانتهى البحث الى من حكاية نوح ان الزوج يتوجب عليه من نصرة الرسالات وعدم مكافحتها والتخلى عن الأهل الذين يحارب الدين بدافع الكفر كما يبين دور الأب المثالى في نصح إبنائه.ويتضح من حكاية لوط مع زوجته ان على الزوجة المسلمة ان تؤمن بالله تعالى وتتجنب الكفر ولا تخالف الشريعة السماوية كما يتضح ان الزوج يجب ان يكون حازما مع الزوجة الخائنة في دينها لانه تسبب الهلاك. ويظهر من قصة إبراهيم مع أبيه ان الداعية البارّ يجب أن يتحلَّى بأفضل الأخلاق ومكارمها، ويصبر على دعوة أهله وعلى المسلم الداعية أن يبدأ دعوته بأقرب الناس إليه و أن يُظهر لمن يدعوهم ضعف المعبودات من دون الله –تعالى–، وأنَّها لا تستحقّ العبادة وأن ينهى مدعوِّيه عن طاعة الشيطان التي ستؤدِّي به إلى عبادته في النهاية.

التمهيد

الأسرة:

الأسرة في أساسها اللغوي مأخوذة من الجذر العربي المكون من الحروف (أ – س – ر)، ويعني: إحكام الربط ومتانته، وشدة التصاق أجزاء التكوين ببعضها. (ابن منظور، لسان العرب: ٨٧/٢) هي الخلية الأساسية في المجتمع البشري وأهم جماعاته الأولية. تتكون الأسرة من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم وهى تشمل الاب والام والابناء والاحفاد، وتساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه المادية، الروحية، العقائدية والاقتصادية. (رجب عليوه، متطلبات تفعيل دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية في ضوء تحديات المجتمع المعاصر، الجزائر، مجلة كلية التربية، ٢٠١٩: ٣٥)

دور الأسرة في الحياة:

تُعدّ الأسرة من أهم مكونات المجتمع فهي النواة الأم، حيث تقوم الأسرة بالأبوين والأبناء لا بأحدهما دون الأخر، ومن هنا يستطيع المرء رؤية مدى أهمية النسيج الأسري في تربية الأبناء في الإسلام، فلكلٍ من مكونات الأسرة واجباته وحقوقه تجاه الآخر؛ فعلى الوالدين زرع القيم والمبادئ الحقّ في نفوس الأبناء، وبالمقابل على الأبناء إطاعة الوالدين ما لم تخالف طاعتهم أوامر الله المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا استمرارية في سعادة الأسرة بدون توافر الحبّ في العطاء والحب في الأخذ، فعنصر الحب من الأجدر به أن يكون بين أفراد الأسرة قبل أن يكون في أيّ مكان آخر، هو العنصر الأسمى وعليه يُبنى كل ما حبب وينفي كل ما بُغِّض.(فهد محمد الشعابي الحارثي، معالم التربية بالحب في القرآن الكريم "خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم في سورة الأعراف أنموذجا" ، ١٧)

تعتبر العلاقات الأسرية حاسمة في حياة الأفراد لأنها توفر الشعور بالانتماء والحب والدعم. غالبًا ما يلعب أفراد الأسرة دورًا مهمًا في تشكيل هوية الفرد ونموه الشخصي. يمكن أن تساهم العلاقات الأسرية الإيجابية في تنمية احترام الذات والمرونة ومهارات التأقلم. يمكن للروابط العائلية القوية أيضًا أن توفر الدعم العاطفي خلال الأوقات الصعبة وتساعد الأفراد على التغلب على تحديات الحياة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون للعلاقات الأسرية تأثير دائم على الصحة العقلية للفرد ورفاهيته ونوعية حياته بشكل عام.(عبد الله بن أحمد بن غرم الله الغامدي، أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الخلق في القرآن الكريم ، ٥٨)

تعتبر الأسرة المحضن الأول لرعاية الأبناء، والاهتمام بهم وحسن توجيههم، وضبط سلوكياتهم وتشكيل قيمهم، فلا بد من استثمار هذه المرحلة العمرية لأنها الحجر الأساس الذي تتشكل منه شخصية الأبناء من وضوح التصوّر العقدي والبناء القيمي عند الطفل، بالإضافة إلى ضرورة إظهار مهارات الطفل وحسن استغلالها وتوجيهها كذلك.(محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام (الطبعة الطبعة: الثالثة)، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، صفحة ٩٢)

وتعدّ تربية الأبناء من الأمور التي تجعل للأسرة في الإسلام أهميةً كبيرةً، ودليل ذلك قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)،[التحريم، ٦]

والأسرة لها الدور الأكبر في الاهتمام بالأبناء ورعايتهم، لأنهم أمانة في أعناقهم، وهم من عملهم الصالح الذي يتقربون فيه إلى الله –جلّ وعلا–، وفيما يأتي ذكر أهم الأدوار المناطة بالآباء تجاه الأبناء.(احمد عبدالرحيم، دور الاسرة في بناء المجتمع ، الكويت، مجلة الوعى، ١٩٨٠ :٣٠)

الأنبياء:

فالنبي هو المنبأ عن الله والرسول هو الذي أرسله الله، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، ان «"النبي" هو المنبأ عن الله و"الرسول" هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين. (اسماء البوحاج، خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم: عيسى عليه السلام أنموذجا، المغرب، ٢٠٢١: ١٦)

ان انبياء الله العظام هم خير خلق الله تعالى وكثيرا ما ذكرت السور القرانية جوانبا من حياتهم العائلية لاسميا الانبياء اولى العزم مثل نوح وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد عليهم السلام وانبياء اخرين مثل يعقوب ولوط عليهما السلام واوضحت تعاملهم مع ابنائهم وزوجاتهم والنصائح والاعمال التى كانوا يقومون بها في سبيل تربيتهم ودفعهم نحو الحق وزجرهم عن الباطل.(ساجده سماره، العلاقات الأسرية في الإسلام ودورها في بناء المجتمع: ٦٧)

كان النبيّ –عليه الصلاة والسلام– كثير الاهتمام والعناية بأبنائه، وقد زخرتْ كتب السيرة النبوية بمواقف كثيرة تؤكّد هذا؛ فقد جاء الحديث عن عائشة يُبيّن كيفيّة تعامل النبيّ مع ابنته فاطمة، واحترامه لها، وإكرامه إيّاها، فقد قالت: (كانت إذا دخَلَتْ عليه قام إليها، فأخَذَ بيدِها وقبَّلَها وأَجْلَسَها في مجلسِه، وكان إذا دخَلَ عليها قامت إليه، فأَخَذَتْ بيدِه فقَبَّلَتْه وأَجلَسَتْه في مجلسِها)،[خالد بن عبد الرحمن الشايع، لمحات من حياة النبي مع بناته، صفحة ٣٠]

وكان ممّا يدلّ على شدّة عنايته ببناته، واهتمامه باهتماماتهنّ ما جاء عن بعض الصحابة من أنّه لمّا ماتت بعض بناته في حياته، وقفَ على القبر وعيناه تدمعان؛ رحمة وشفقة بهنّ.(عبدالرحمن الغامدى، دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، الرياض، دار الخرجين، ١٤١٨: ٢١)

ومن مَحبّته لهنّ أيضاً أنّه كان يهتمّ بشؤونهنّ، ويحلّ مشاكلهنّ، ومثال ذلك أنّ ابنته فاطمة جاءته يوماً تشكو ممّا تجده من جهد العمل، فطلبت منه أن يُحضرَ لها خادماً، فقال لها ولزوجها: (ألا أدُلُّكُما علَى ما هو خَيْرٌ لَكُما مِن خادِمٍ؟ إذا أوَيْتُما إلى فِراشِكُما، أوْ أخَذْتُما مَضاجِعَكُما، فَكَبِّرا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وسَبِّحا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، واحْمَدا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، فَهذا خَيْرٌ لَكُما مِن خادِمٍ).(محمد عبدالسلام محمد،العلاقات الأسرية في الإسلام؛ مصر، ٢٠١٥: ٥٥)

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الاهتمام وتلك الرّعاية المباركة كانت نهجاً أصيلاً في حياة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، ولم تكن مواقف عابرة أو مفتعلة، وقد شكّل بذلك قدوة لغيره من

المُسلمين؛ إذ عاملهنّ بالرحمة، والحِكمة، وظهر ذلك في كثيرٍ من مواقف حياته.(محمد عرابى، دور الأسرة في اكتساب القيم: ٣)

و الانبياء هم خير قدوة لنا ويجب ان يسير المؤمنون على نهجهم الطاهر ، ليستقوا من ادبهم الجم مع الله " عزوجل" ثم مع أقوامهم، وقد ظهر في قصص الانبياء كثير من آداب تعامل الداعية مع المدعو. (شمس مريجى، دور الأسرة في الحد من الانحرافات الاجتماعية، المجلة الثقافية، ٢٠١٠: ٢٣)

وتعددت علاقات الانبياء وظهرت بصورة مختلفة حسب الوضع فكانوا تارة في حالة زجر كما في خطاب نوح مع ابنه كنعان كما تكون علاقتهم في حالة نصيحة مثل حال يعقوب ع مع الاسباط ومحمد ص مع ازواجه وابراهيم مع ابنه اسماعيل...وبصورة عامة فان حياة الانبياء تتميز بنظام عائلى متميز يمكن ان يكون انصع نظام لتربية الناس.

ونظرا الى تردى العلاقات العائلية في المجتمع الحديث فهناك ضرورة ماسة في التعرف على دور أسر الأنبياء في رسالاتهم وكيفية تعامل الانبياء ع مع عائلاتهم لعلها تكون اسوة للمجتمع والناس يسيرون على منوالهم ويقتدون بهم ولذا سعينا في هذا البحث ان نسلط الضوء على دراسة دور أسر الانبياء في رسالاتهم وبيان دور الأسرة من منظور القرآن الكريم.

وسبب اختيار القرآن انه اعتنى كثيرا بالجانب التربوى للأنبياء ع واوضح الكثير من الجوانب التربوية في خصال الانبياء و بيّن العديد من سمات حوار الانبياء مع عائلاتهم وكان يرى في ذلك منهجا للحياة الاجتماعية ونوّه الى العديد من القضايا التى يمكن ان أسلوب حياة للناس.

ومن ابرز القضايا التى اشار اليها القرآن ان الانبياء حثّوا على تعليم التوحيد لاسرهم كما في حكاية ابرايهم لابنائه، والاحسان الى الناس وزجرهم عن الشرك والتكبر والغرور كما في حكاية نوح لكنعان، والخضوع لله تعالى وطاعة الله ورسله عليهم السلام كما في حكاية محمد ص مع زوجاته وعدم التناحر والخصام كما في حكاية الاسباط. وكان كثير من أسر الانبياء خاصمتهم كما نجد ذلك في حكاية كنعانمع نوح وامرأتى لوط ونوح (ع) إلا ان هناك من أسر الأنبياء من وازرتهم كما نجد ذلك في حكاية ابراهيم وهاجر وحكاية ...ونحن في هذا البحث نسلط الضوء على ثلاث أسر هى أسرة نوح ولوط وابراهيم ع.

مما يلاحظ أنّه على الرغم من كثرة الدراسات حول حياة الأنبياء، إلا أن دور أسرهم في رسالاتهم لم يحظَ بالاهتمام الكافي. لذا، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: ما دور أسر الأنبياء في رسالاتهم؟ وما الجوانب التربوية المستفادة من تعامل الأنبياء مع أسرهم؟

خلفيه البحث:

توجد هناك بعض البحوث حول التعامل والعلاقات الاسرية ابرزها:

١-العلاقات الأسرية في الإسلام ودورها في بناء المجتمع للباحثة ساجده سماره ، ٢٠١٨؛

وخلص البحث الى ان يقيم الإسلام المجتمع الإنساني كله على أساس متين ركين هو الأسرة ويجعلها الوحدة الأولى التي يتكون من تعددها هذا المجتمع ، والأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع، تتكون الأسرة من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم، وتساهم الأسرة في النشاط الاجتماعي في كل جوانبه المادية والروحية والعقائدية والاقتصادية وللأسرة حقوق مثل: حق الصحة، وحق التعلم، وحق السكن الأمن كما للأسرة واجبات مثل: نقل التراث واللغة عبر الأجيال، والوظيفة وفي جانب آخر يعتبر الإسلام الأسرة هي الأصل الكبير العريق الذي تنبثق عنه كل الفضائل من مودة ورحمة وصدق وعفاف ووفاء وإيجابية وتعاون وتناصر وتكافل ، وإذا ماصلحت هذه الأسرة فأحيطت بالقيم والمباديئ والقوانين

٢-بحث العلاقات الأسرية في الإسلام للكاتبة ميساء عضيبات طبع عام ٢٠٢٢؛

وخلص البحث الى ان الإسلام أسلوب حياة كامل، وتعتبر الأسرة حجر الزاوية في المجتمع الإسلامي، ويؤسَّس الجو في الأسرة على أساس التضحية والمحبة والوفاء والطاعة وصلة الرحم، عندما يُقال عائلة تعني التعريف التقليدي لها وهو الزوج والزوجة والأولاد، والأجداد هم أيضًا جزء من الأسرة المسلمة الممتدة.

٣-خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم " عيسى عليه السلام أنموذجا" للكاتبة اسماء البوحاج، المغرب، ٢٠٢١

هدفت هذه الدراسة إلى رصد خطابات الأنبياء لأقوامهم التي قصّها علينا القرآن الكريم، وقد حُصِرَت في فئة محدّدة ذلك أنّنا اقتصرنا على ذكر عّينة دون باقي الأنبياء، وهذه العيّنة هي نوح، هود، صالح،إبراهيم، لوط شعيب، موسى، عيسى، محمد عليهم الصلاة والسلام من خلال التّأمل في سور القرآن الكريم وتتبّع الآيات المتضمنة للخطاب بين النبي وقومه قصد الوقوف على الغايات والوسائل في دعوة كل نبي، كما أشارت هذه الدراسة إلى مبادئ الخطاب وكذلك تطرّقتْ إلى ملامح الخطاب الناجح وإبراز مقوماته، كما رصدت في الأخير بعض الأساليب البلاغية التي خدمت خطاب عيسى عليه السلام من أساليب علم المعاني والبيان والبديع لإظهار الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

٤-معالم التربية بالحب في القرآن الكريم "خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم في سورة الأعراف أنموذجا" للكاتب فهد محمد الشعابي الحارثي، الرياض، جامة الباحة، ٢٠١٩

تهدف الدراسة إلى الكشف عن معالم التربية بالحب من خلال تحديد مفهوم التربية بالحب وبيان أهدافه ومنطلقاته ومبادئه وأشكاله كما وردت في القرآن الكريم من خلال خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وأظهرت نتائج الدراسة: أن معالم التربية بالحب في القرآن الكريم من خلال خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم في سورة الأعراف تناولت أهدافه ومنطلقاته ومبادئه وأشكاله. وأن أهدافه تضمنت جانبين: بناء الذات الإنسانية، وبناء المجتمع الإنساني. في حين أن منطلقاته تتمثل في: الوحدة الإنسانية، والمعرفة الإنسانية، والمشاعر الإنسانية الإيجابية. أما مبادئه فتقوم على: اللين والرحمة، والصبر، وحسن النية، والمشاركة، والخوف على من نحب، والحلم وغض الطرف والتغافل، والثبات والاستمرار. كما أشارت النتائج إلى أن للتربية بالحب في القرآن الكريم من خلال خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم في سورة الأعراف عدة أشكال، منها: النصح والإرشاد والبلاغ، التواضع والتودد في الخطاب، والبيان والتفصيل وحسن التعليم، حسن المجادلة، ومناسبة الخطاب لدرجة الخطأ، وأولويات الخطاب والتدرج فيه، وأخيرا إظهار المشاعر والعواطف الإنسانية المصاحبة للموقف. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات في ضوء ما توصلت إليه من نتائج.

٥-العلاقات الأسرية في الإسلام؛ محمد عبدالسلام محمد،بيروت، ٢٠١٥،

يعتبر كتاب العلاقات الأسرية في الإسلام من الكتب الهامة لدارسي قضايا المرأة والمجتمع؛ حيث يدخل كتاب العلاقات الأسرية في الإسلام ضمن نطاق تخصص علوم المرأة والقضايا الاجتماعية، ووثيق الصلة بتخصصات الفكر الاجتماعي والثقافة.

وهنا نقاط ضعف عديدة في هذه الدراسات التى مر ذكرها ابرزها انها تمحورت حول جانب خاص من أسر الانبياء وغالبا ما اكتفت بشخصية واحدة او بجانب خاص من حياة النبى المختار كما من ضعفها عاتمادها عليراى مفسر خاص دون الآراء القيمة في هذا الصدد كما ان بعضها كان عاما لم يركز على أسر الانبياء بل عم في بحثه لذا يتسم بحثنا بالسمات التالى:

التركيز على أسر الانبياء

بيان علاقة الانبياء بأسرهم من نساء وولدان

بيان الجوانب العقائدية في تربية الانبياء لاسرهم

بيان الجوانب الاخلاقية في تربية الانبياء لاسرهم

بيان راسى المفسرين الكبار المعاصر والقدماء حول حكايات الانبياء ع وأسرهم بما يساعد على وضع قانون تربوى ومنهج اخلاقى لذا بادرنا بهذا البحث من منظور القرآن الكريم.

تتبع جدة الموضوع من حيث ان البحث سيتناول دور أسر الانبياء في رسالاتهم ما يساعد على وضع قانون تربوى ومنهج اخلاقى وذلك بالتحديد من منظار القرآن الكريم ولذا فالهدف هو الكشف عن سمات تعالم الانبياء في أسرهم اولا وتحديد دور الأسر في الحياة ثانيا.

دراسة دور أسر الانبياء في رسالاتهم

برزت أسر الأنبياء بجانبهم في كثير من الآيات القرانية وذلك نظرا الى دورها الايجابى أو السلبى وكان الغرض من سرد حكايات الاسر النبوية التنويه الى ما يتوجب على الناس من واجبات دينية مثل نصرة الدين واتباع الحق وتجنب الشرك وهى تمثلت في شقين فمنها ما كانت فيه الاسر ايجابية تناصر الانبياء مثل حكاية زكريا وزوجته وأيوب وزوجته ومنها ما كان دورها سلبيا مثل أسرة ابراهيم ع ولوط كع زوجته ونوح مع أبنه؛ ونظرا الى محدودية البحث فقد ركزنا في هذا البحث على الاسر ذات الدور السلبى لنبين ما يجب تجنبه من المحرمات في تربية الأسر الاسلامية.

١- نوح وابنه كنعان

بعث الله -تعالى- نوحاً -عليه السلام- إلى قومه بعد أن ظهرت فيهم الضلالات، والجحود بالله، فكان أوّل رسول يرسله الله إلى الناس في الأرض، وقد جاء عن ابن جبير، وغيره أنّ قوم نوح كان اسمهم بنو راسب.[١] وقد كانت بداية عهد قوم نوح بالجحود بالله حينما عبدوا أصناماً كان قد بناها مَن قبلهم من الأجيال لرجال صالحين منهم؛ تخليداً لذكراهم بعد مماتهم، وقد بَقِيت تلك النُّصُب فترة من الزمن لا تُعبَد، حتى إذا هلك ذلك الجِيل، وذهب العلم، اتّخذ الناس تلك التماثيل أصناماً يعبدونها من دون الله -تعالى-، قال -عزّ وجلّ-: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)، فبعث الله فيهم نوحاً نبيا ورسولا.(أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ١٤٢٠هـ، ج٥، ص١٠٣)

بدأ نوح -عليه السلام- بعثته بدعوة قومه إلى الإيمان بالله، والتوحيد، وإفراد العبادة لله -تعالى- وحده، وذكر لهم فائدة اتِّباع أمره، وطاعته في غفران ذنوبهم، قال -تعالى- على لسان نبيّه: (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ)،[٤] وترك معاقبتهم، وإمهالهم إن هم آمنوا بالله ورسوله إلى أن يحين أجلهم الذي كتبه الله لهم، قال -تعالى-: (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى).

وقد دعا نوح -عليه السلام- قومَه باستخدام شتّى الأساليب؛ حتى يؤمنوا بالله، قال -تعالى- على لسان نبيّه الكريم: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا*وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)، وجاء هذه الآيات وصفا لحال قوم نوح حينما كان يدعوهم نبيّهم إلى الإيمان؛ حيث كانوا يَفرّون

منه، ويجعلون أصابعهم في آذانهم؛ كي لا يسمعوا كلامه، كما أنّهم كانوا يتّغطّون بثيابهم، مُصرِّين على جحودهم، ومُستكبِرين في عنادهم.(الطبري، جامع البيان، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٥١٦)

وكان كنعان أحد اولاد نوح من بين سائر قومه الذين طغوا أمام دعوته وكذبوا برسالته فأمره الله بصناعة الصفينة للنجاة من الطوفان المغرق ونزل قوله تعالى في وصف عذابه:

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤١–٤٧]

وهنا نجد دور كنعان السلبى وحوار نوح مع ابنه وسعيه الحثيث لهدايته والحكاية تتضمن دلالة التوحيد وتجنب الشرك والإشراد التربوى الإلهى لنوح في تعامله مع أبنه.

جاء في تفسير الآيات بما يختص بحوار الأب والإبن:

١. ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾:

إن الأمواج لا تكون في البحر متعالية كالجبال إلا إذا كانت الرياح العاتيات تحركها، فوصف الموج بأنه كالجبال أغنى عن ذكر الرياح العاتيات في الصورة لأن الذهن يستدعيها في التصور من خلال جبال الأمواج، لكن المياه ما زالت دون مستوى الجبال العالية، ولعلها غمرت الوديان، وبدأت ترتفع حتى وصلت إلى المساكن العالية في أواسط الجبال أو قريبة منها. تدلّنا "وهي تجري بهم في موج كالجبال" على أنها مسيّرة بقدرة الله عز وجل، ولذلك فإن هذه الأمواج التي وصفها الله أنها في علوّها وضخامتها كالجبال، هذه الأمواج التي لا بد أن تغرق أضخم السفن وأقواها لم تفعل شيئاً لسفينة نوح، فلم تضربها بقوة، أو تقلبها أو تضربها على أي شكل من الأشكال، بل إن السفينة تجري – أي تمشي بسرعة عالية– بين أمواج كالجبال، بل إن طريقها الذي رسمه الله تعالى لها ليس فيه موج يعوقها أو يضربها، ولك أن تتخيّل سفينة في بحر هائل بين أمواج كالجبال، كيف يمكن أن تبحر حتى إذا لم تغرقها الأمواج فإنها على الأقل لا تجعلها

تسير بسرعة، ولكن سفينة نوح تسير بأمر الله تعالى، فإن هذه الأمواج لا تؤثر فيها.(أحمد نوفل، تفسير سورة هود، ص ١٦٢)

٢. ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾:

-"ونادى نوح ابنه": وفي هذه اللحظة الرهيبة الحاسمة يبصر نوح، فإذا أحد أبنائه في معزل عنهم وليس معهم، وتستيقظ في كيانه الأبوة الملهوفة، ويروح يهتف بالولد الشارد.(أحمد الكبيسي، من أنباء القرى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ١٤٦)

"-وكان في معزل": كان في مكان حتى تلك اللحظة من المناداة في مكان معزول عن الماء لارتفاعه مثلاً أو غير ذلك. وهناك من العلماء من يرى أن هذا الابن كان منعزلاً عن أبيه وقومه ويظهر أنه قد كان كاتماً كفره، غير متظاهر به، عصبية لأبيه، إلا أنه كان في باطنه مع عقيدة قومه، ولعل اعتزاله قد كان اعتزالاً توفيقياً، فهو لا يريد أن يَنصر قومه على أبيه، ولا يريد أن يتابع أباه وينصره ضد قومه.(علي محمد الصلابي، نوح والطوفان العظيم، ص ٣٠٩)

"-يا بني": وفي نداء نوح عليه السلام لابنه بكلمة «يا بني" فيه تحنّن ورأفة ورحمة وتحبّب وتلطّف وتودّد وتقرّب لو كان هذا يجدي. ولاحظ الادغام في الباء والميم في "اركب معنا" أيّ؛ تفضل بنا واركب في سفينة النجاة مع الناجين من المؤمنين.

-"ولا تكن مع الكافرين" :يلاحظ هنا التلطف في "مع" بدل "من"، فكأنه بهذه الملاطفة يحرك شعوره ليستجيب، وما أجمل أجهزة الاستقبال عند الإنسان شفافة وحساسة وشغالة ومستجاشة، حتى يستجيب لمثل هذه الإشارات، ويتأثر بمثل تلك اللطائف.

"ولا تكن": الواو عاطفة، نهياً عن أمر: اركب معنا ولا تكن، ولا ناهية، وتكن مضارع مجزوم بحرف النهي، "مع الكافرين": أي كأنه يقول له برفق شديد: أعيذك أن تكون من الكافرين، فلست منهم بإذن الله، ولكن هذه اللحظة تقف معهم، فلا تكن معهم بل كن من الناجين ومعهم.

ويرى بعض العلماء إن نوحاً قال لابنه: ولا تكن مع الكافرين، ولم يقل له: ولا تكن من الكافرين، فدل هذا على أن نوحاً لم يكن يعلم أن ابنه هذا قد كان كافراً؛ لأنه لو كان يعلم ذلك لكان المناسب أن يقول له: "ولا تكن من الكافرين"، كما قال تعالى بشأن إبليس:﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].ويخاطب الله الكافر يوم القيامة بمثل ذلك فيقول: ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩]، "ولا تكن مع الكافرين": أي: في الدين والانعزال الهالكين.(السيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، (١٨٧٨/٤).

٣. ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾:

إن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل. ويُجيب الابن من معزله البعيد غير مبالٍ يتأثر الوالد وشفقته: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، أيّ: سأعتصم من الطبيعة بالطبيعة، ومهما كان من طغيان الماء، فإن في طبيعة الجبال أعظم معتصم منها، وذلك هو منطق الإلحاد، لا يُبصِّر صاحبه مما هو أمامه إلا وراء أرنبة أنفه، ويصوّر القرآن ردّ الوالد عليه في جملة فيها الأسى والحزن، وفيها منطق الإيمان، يردّ على غرور الجحود والإلحاد.(محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٨هـ، (٩٦/٦)

٤. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾:

لا عاصم اليوم من أمر الله بالطوفان العام الشامل، إلا من رحمه الله، فجعل له السفينة وسيلة النجاة الوحيدة، لكن ابن نوح لم يستغل هذه الفرصة الأخيرة له؛ لأنه لم يكن من المؤمنين في باطنه، وظل مصرّاً على موقفه. ولم يطُل الحوار بين الأب وابنه، ولم يعلم نوح من ابنه موقفه من قضيّة الإيمان، إذ حال بينهما الموج فقطع حوارهما، وأخذ الموج الفلك بعيداً إلى العُباب، ولم يستطع الابن أن يسرع إلى جبل شاهق فقد داهمه الماء، فكان من المغرقين .(محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص ٢٧٣)

٥. ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾:

إننا بعد آلاف السنين، لنمسك أنفاسنا –ونحن نتابع السياق– والهول يَأخذنا كأننا نشهد المشهد، وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تَحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب. وإنَّ الهول هنا ليقاس بمداه في النفسِ الحية – بين الوالد والمولود– كما يقاس بمداه في الطبيعة، والموج يطغى على الذرى بعد الوديان، وإنهما لمتكافئان، في الطبيعة الصامته وفي نفس الإنسان، وتلك سمة بارزة في تصوير القرآن. ويسدل البيان الإلهي ستاراً على هذا الحوار بين منطق الإيمان وغرور الإلحاد "وحال بينهما الموج فكان من المغرقين". ولكأني أرى في هذه الجملة الرهيبة صواعق من مظهر الغضب الإلهي وهي تنقض على الجهل المتعالم، والغرور المتطاول تسحقه فإذا هو أثر بعد عين، إن الجملة لتقول بأبين دلالة ما كاد هذا المسكين يتم النطق بكلامه المغرور، وما كاد يطرف ببصره بحثاً عن الجبل الذي يستعصم فيه، حتى أسرعت إليه موجة فالتهمته، وكأن لم يكن.(محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص ٢٧٣)

ونستخلص من حكاية نوح مع ابنه كنعان عدة نقاط تربوى تبين دوره السلبى في تعامله مع رسالة ابيه اذ ان لم يناصرها بل خاصمها وفند الرسالة ودعا الى محاربتها وعلى النقيض من ذلك فان نوح سعى بكل جهد لإسلام إبنه وإصلاحه ونجاته وهذه الأمور تكشف للقارئ المسلم ما يتوجب عليه من نصرة الرسالات وعدم مكافحتها والتخلى عن الأهل الذين يحارب الدين بدافع الكفر كما يبين دور الأب المثالى في نصح إبنائه.

٢-لوط وامراته

لوط ابن حاران، حفيد تارخ وابن أخ إبراهيم. وكان أيضاً أخو سارة زوجة إبراهيم لأمها. كان لوطعليه السلام مع سارة ممن آمن بإبراهيم عليه السلام أثناء دعوته إلى التوحيد في بابل.[ابن اثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٩.]

قصة لوط عليه السلام من القصص القرآني التي ساقها القرآن الكريم بصورتها الواقعية، قاصداً من خلالها عرض حقائق الإيمان، وترسيخ قواعد التوحيد، وبيان سنة الله في التعامل مع الظالمين لأنفسهم، والمعرضين عن طريق الهداية والرشاد.(ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٧٦)

وقد تكررت قصة لوط عليه السلام مع قومه في القرآن الكريم في سور متعددة، منها: الأعراف، هود، الحِجر، الأنبياء، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، القمر. وجاءت هذه القصة تارة بصورة مفصلة، وتارة بصورة فيها شيء من الاختصار، وأتت في كل سورة بأسلوب له إيحاءاته، ومقاصده، وتأثيراته، ودلالته.

تدور أحداث قصة لوط عليه السلام مع قومه في منطقة تدعى (سدوم)، وحاصل أحداثها، أن لوطاً عليه السلام –وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، عليهما السلام– كان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله تعالى إلى أهل (سدوم) –وهي اليوم من أراضي فلسطين المحتلة– وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم، وما يقترفونه من الفواحش، التي لم يسبقهم بها أحد من بني آدم، ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور. [ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص١٤٠]

سكن قوم لوط في أرض المؤتفكات بفلسطين. وصفوا في القرآن والنصوص التاريخية بصفات سيئة. على أساس الآيات القرآنية والنصوص التاريخية ارتكب قوم لوط أعمال السطو والنهب، وقطع الطرق ومضايقة الضيوف.دعاهم لوط لترك الذنوب، ولكن بعد إصرارهم عليها نزل عليهم العذاب.

وكانت زوجة لوط من قرية سدوم وذُكر لها اسماء مختلفة كوالهة، ووالعة، وواهلة، وواغلة.[النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج٢، ص٧٣] وتزوج بها النبي لوط(ع) بعد الدخول في تلك القرية.[المجلسي، حياة القلوب، ١٣٨٤ش، ٤١٨.]

وما يخصّ بحثناهو تعامل اسرة لوط مع رسالته وتمثل ذلک بحكاية زوجته التى أفرد لها القران مجالا لتكون عبرة تبين واجب المراة تجاه الرسالات السماوية اذ قال تعالى:

« وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ» (النمل: ٥٤-٥٨)

وتصور الآيات القرانية حكاية عذابهم بالسجيل كما تعرج على تعامل زوجته والغة مع رسالته وخيانتها بنصرة الكفر وعدم اتباع الأمر الالهى وجاء ذكرها في مختلف التفاسير لتحديد دورها السلبى في رسالته:

عندما حلّ العذاب خرج النبي لوط مع أهله ولكنّ امرأته لما سمعت صوت العذاب والدمار التفتت فأصابها حجرٌ فقتلها، فهذه قصّة المرأة التي ناصرت الفاحشة وتجسست على نبيّ الله، ونقلت أخباره لقومه ففعلها هذا خيانة بحدّ ذاته، مع أنّها متزوجة من نبي كما حكاها القرآن الكريم.(الطبرى، التفسير الجامع: ١/ ٤٢٥)

كما ذكر الطربى ايضا ان هناک الكثيرمن الآيات الأخرى التي حكت عن حال امرأة لوط، منها قول الله تعالى: {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ}، وهنا يُطرح سؤال مهم، وهو: لماذا وصف الله زوجة لوط بالعجوز؟ وقد أجاب المفسرون بأنّ معنى الغابرين أي الباقين، وقد صارت امرأة لوط عجوزًا هرمة لطول مرور السنوات عليها، وقد أهلكها الله تعالى من بين أهل لوط، لأنّها كانت تدلّ قومها على ضيوفه، وقيل أيضًا أنّ سبب وصفها بالغابرين هو أنّها لم تهلك مع قومها في قريتهم، وإنّما أُصيبت بحجر بعد خروجها من القرية مع النبي لوط وبناته، فكانت من الغابرين بعد قومها، وقيل أيضًا أنّها هي نفسها قد مُسخت حجرًا.(الطبرى، التفسير الجامع: ١/ ١٠٤)

اما فخر الرازى فحدد إجرام زوجة لوط بالنفاق وإخفاء الكفر، والتظاهر على الرسول، حيث نعتت أفشت امرأة لوط سر زوجها وتعاونت مع أعدائه، وهنا يجب التنبّه إلى وجوب تنزيه الأنبياء عن أن تكون خيانة زوجاتهم لهم تعني الفجور، وقال ابن عبّاس: "ما بغت امرأة نبيٍّ قط"، وقيل أيضًا أنّ المراد بها الخيانة في الدين.[الرازى، مفاتيح الغيب: ١/ ٥٦٧)

وقد اعتبرها القرآن الكريم مثالاً واضحاً للكفر، وبحسب الآية ١٠ من سورة التحريم، فإنها خانت زوجها بالرغم من أنه كان نبيّاً، وذهب المفسرون إلى أنّ خيانة امرأة لوط لزوجها إنّما هي إفشاء السرّ والتعاون مع الكفار. واعتقد المفسرون من الشيعة والبعض من مفسري أهل السنة أيضا بأنّ الله يحذّر من خلال هذه القصة اثنتين من زوجات النبي محمد (ص) وهما عائشة وحفصة من خيانته.(ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ١٤١٩هـ، ج١١، ص٤٧٧)

ورد في بعض الأحاديث أنه عندما جاءت ملائكة العذاب إلى بيت النبي لوط(ع) وبصورة شباب في غاية الحسن والجمال، أخبرت زوجة لوط أهل القرية بمجيئهم.[الطبري، جامع البيان، ١٤٢٢هـ، ج١٢، ص٥٢٠)؛ ثم هرع قوم لوط إلى بيته من كل جانب ليغتصبوا ضيوفه وعندما دخلوا البيت أعماهم جبرائيل بإذن الله تعالى.[حقي البروسوي، روح البيان، دار الفكر، ج٤، ص١٦٦-١٦٩.] وأمّا في كيفية عقاب امرأة لوط فهناك قولان:

يعتقد بعض المفسرين أنَّه عندما غادر النبي لوط (ع) القرية مع زوجته وبناته، فتوقّفت المرأة في أثناء الطريق وسمعت عذاب القوم، فتأثرت بذلك وأدارت وجهها نحوهم فأصابتها صخرة فلهكتها.(السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، ج٤، ص٤٦٢)

عوقبت زوجة لوط مع قومه بسبب الكفر والخيانة، في حين نجا النبي لوط (ع) وبناته من العذاب؛ حيث إنهم كانوا قد تركوا القرية مسبقاً. وجاء في التوراة أنّ امرأة لوط صارت عمود ملح بعد توقفها أثناء الطريق والنظر إلى عقاب القوم، غير أنّ التوراة لم تتعرض لمسألة خيانتها وكفرها.[مكارم الشيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١١، ص٤٤٣]

ونستخلص من حكاية لوط مع زوجته ان على الزوجة المسلمة ان تؤمن بالله تعالى وتتجنب الكفر ولا تخالف الشريعة السماوية كما يتضح ان الزوج يجب ان يكون حازما مع الزوجة الخائنة في دينها لانه تسبب الهلاك.

٣-ابراهيم وابيه

إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- هو أبو الأنبياء، وأحد أولي العزم من الرسل، وقد كان يستخدم الحُجَّة التي يقرع بها المعاندين، فلا يبقى لهم حُجَّة أو دليل على عباداتهم، ويصدِّق ذلك حواره مع قومه بعد أن حطَّم الأصنام، وحين بحث عن معبود يستحقُّ العبادة بين النجوم التي يعبدها قومه. وكان سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- من يبلغ دعوة الله -سبحانه-، وأوّل من يدعوهم الرسول هم الأقربون إليه، وأقرب الأقربين هم الوالدين؛ ولذلك يدعو هنا سيدنا إبراهيم أباه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، ويُوضِّح له أنَّ منهجه هو وقومه غير

صحيح،[المراغى، ١٦٨] قال –تعالى–: (وَإِذ قالَ إِبراهيمُ لِأَبيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصنامًا آلِهَةً إِنّي أَراكَ وَقَومَكَ في ضَلالٍ مُبينٍ).[الانعام، ٧٤]

تأدب سيدنا إبراهيم في دعوته لأبيه يدعو سيدنا إبراهيم –عليه السلام– أباه دعوة جامعة واضحة بأسلوبٍ محبب، وقد بيَّن له كثيراً من خصائص هذه الدعوة، توضِّحها لنا الآيات الآتية من سورة مريم:[أحمد غلوش، دعوة الرسل: ١٢٠] كان إبراهيم يتَّصف بالأدب الكبير في خطابه مع أبيه؛ فهو يُقدِّم كلّ معلومة لأبيه بقوله: (يا أَبَتِ).[مريم: ٤٢] إنَّ هذه الدعوة قائمة على العلم، قال الله –تعالى–: (يا أَبَتِ إِنّي قَد جاءَني مِنَ العِلمِ ما لَم يَأتِكَ فَاتَّبِعني أَهدِكَ صِراطًا سَوِيًّا).[مريم: ٤٣] إنَّ عبادة الشيطان واتِّباعه هو سبب الهلاك؛ فالشيطان عصى الله ويريد من كل الخلائق أن تتَّبعه، قال الله –تعالى–: (يا أَبَتِ لا تَعبُدِ الشَّيطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا).[مريم: ٤٤] إنَّ عدم الاستجابة لدين الله سببٌ في العذاب، وهذا ما يخافه إبراهيم على أبيه، بل يخاف أن يَمسَّه العذاب مَسًّا، قال الله –تعالى–: (يَا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا).[مريم: ٤٥]

كان والد إبراهيم –عليه السلام– يغضب ويردُّ بالتهديد والوعيد، وينادي إبراهيم باسمه ولا يقول له: (يا بني)؛ الكلمة التي تحمل معنى العطف والحنان، كما كان إبراهيم –عليه السلام– يخاطب أباه بـ (يا أبتي)؛ وهذه هي عادة المعاندين للحقّ فلا يردُّون بحُجَّة، ولا يملكون سوى التهديد والوعيد.[الصابونى، صفوة التفاسير: ٢٠٠]

بلغ من عناد قوم سيّدنا إبراهيم وكفرهم أنَّهم أرادوا أن يُحرِّقوا الذي يُريد أن ينقذهم من النار؛ إذ لم يجدوا حُجّة يردُّون بها، فقرَّروا صنع نار عظيمة، وفعلاً جمعوا لها الحطب شهراً كاملاً، ثمَّ أوقدوا عليها، وصنعوا منجنيقاً، وألقوا إبراهيم في النار، ولكنَّ الله –سبحانه وتعالى– أعطى الأمر للنار قبل وصول إبراهيم لها: (قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إِبراهيمَ)،[الانبياء: ٦٩] فتُسلب النار قدرتها على الإحراق، فلا يتأذى إبراهيم –عليه السلام– بل يعيش أنعم أيام حياته فيها.[القرطبى، تفسير القرطبى: ١/ ٣٠٣]

كان آذر ابو إبراهيم ونظرا الى ان دعوة ابراهيم للكفار كانت ذات شقين أحدها يخصّ قومه والثانى لأبيه لذا شرحت الآيات القرانية دعوته لابيه وكيفية تعامل آذر مع تلك الدعوة السماوية كما ورد ذكرها في سورة مريم:

وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ

الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (مريم: ٤١-٤٨)

١- إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا [مريم: ٤٢].

وهذه اللفظة اللطيفة يَا أَبَتِ فيها استمالة للأب، واستعطاف له. يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ هذه أصنام ناقصة في ذاتها لا تسمع ولا تبصر، وكذلك هي ناقصة في أفعالها لا تغني عنك شيئًا، هي في ذاتها ناقصة لا تسمع ولا تبصر، وفي أفعالها ناقصة، وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، ولا تملك لعابدها نفعًا ولا ضرًا، ولا تقدر على شيء من الدفع، وهذا برهان جلي، فإن عبادة الناقص مستقبحة شرعًا وعقلاً، وهذا يدل على أن العبادة لله الذي له الكمال في الذات، والأسماء، والصفات، والأفعال، والذي يملك النفع والضر ، ولذلك كان هو المستحق وهو الأهل للعبادة وحده لا شريك له.

٢-يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ[مريم: ٤٣]، لا تقل محتقرًا لي إنني مجرد ابن صغير، إني عندي ما ليس عندك، إن عندي شيء ليس عندك، أعطاني الله إياه، أطلعت عليه من الله لم تطلع عليه أنت، ولم يقل يا أبت أنا عالم وأنت جاهل، وإنما قال: وصلني علم لم يصل إليك، لم يقل: ليس عندك شيء من العلم، وإنما قال: جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ، أنت تعرف أشياء لكن أنا جاءتني أشياء لم تأتك، وصلني ما لم يصل إليك، ولذلك ينبغي أن تتبع الحجة، وتنقاد إليها.

فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا [مريم: ٤٣] مستقيمًا يوصل إلى النجاة من المرهوب وتحصيل المطلوب، وهو النعيم والثواب.

٣-يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ[مريم: ٤٤] لا تطعه في عبادتك لهذه الأصنام، كل من عبد غير الله يكون قد عبد الشيطان؛ لأن الشيطان هو الذي أمره بذلك، والله قال: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ[يس: ٦٠].

وقال تعالى: إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۝ لَعَنَهُ اللَّهُ [النساء: ١١٧-١١٨]، كل من عبد غير الله فقد عبد الشيطان.

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا مخالفًا مستكبرًا عن طاعة ربه، ولذلك فالله طرده، وأبعده، وأخرجه من رحمته.

عَصِيًّا صيغة مبالغة، زيادة للتنفير من الشيطان؛ لأنه شديد العصيان لله. إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا المعاصي ممكن تمنع رحمة الله، كما أن الطاعة من أكبر أسباب جلب رحمة الرب.

يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ [مريم: ٤٥] أظهر الشفقة على أبيه، أخاف عليك من شركك وعصيانك، لم يجزم بأن العقاب لاحق بأبيه، وإنما قال: أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ فذكر الخوف والمس ونكر العذاب، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ. والإتيان باسم الرحمن هنا للإشارة إلى وصف الرحمة، وأنه لا يمنع حلول العذاب، فالله يعذب، وهو رحمن، وهو أعلم بمن يستحق الرحمة .

٥-فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا [مريم: ٤٥]، لك ولي ليس إلا إبليس، وموالاتك له توجب العذاب الأليم، تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النحل: ٦٣].ونلاحظ أن الخليل تدرج في الدعوة في دعوة الأب الأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعه لابنه، وأنه إذا أطاعه اهتدى إلى الصراط المستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من الأضرار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وإنه يصبح بالتالي وليًا للشيطان، لقد صدرت تلك النصائح الأربعة كل واحدة منها صدرت بلفظة يا أبتِ توسلاً، واستعطافًا، وتأدبًا؛ لكن لم ينجع هذا مع الوالد الشقي، فأجاب بجواب الجاهل، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ [مريم: ٤٦]، فتبجح بآلهته من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم على رغبته عنها، ثم توعده قائلاً: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ [مريم: ٤٦] عن شتم آلهتي ودعوتي إلى عبادة الله لَأَرْجُمَنَّكَ[مريم: ٤٦]، وأقتلك رميًا بالحجارة، وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا [مريم: ٤٦] زمانًا طويلاً، اهرب مني قبل أن تصيبك مني عقوبة، اذهب بعيدًا، فأجاب إبراهيم جواب عباد الرحمن عندما يخاطبهم الجاهلون.

قال: قَالَ سَلَامٌ [مريم: ٤٧] والجمهور أن المراد بالسلام هنا المراد هنا المسالمة، التي هي المتاركة، وليست التحية، كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [الفرقان: ٦٣]، وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ[القصص: ٥٥].

فمعنى قول إبراهيم: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أي: ستسلم من خطابي لك بما تكره، ستسلم مني فلن ينالك مني مكروه، ولا أذى لحرمة الأبوة، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا [لقمان: ١٥]، ووعده بأن يستغفر له، وقال: سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي [مريم: ٤٧]، وأسأل الله أن يهديك ويغفر ذنبك إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا [مريم: ٤٧]، عليمًا بحالي،

رؤوفًا بي، معتنيًا بي، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، كما قال الله تعالى عنه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ [إبراهيم: ٤١].

لكن لما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، ومات آزر على الكفر، وعرف إبراهيم أنه لا يفيد شيئًا ترك الاستغفار له، وتبرأ منه، المسلمون لما سمعوا بهذه الآيات من قبل استغفروا لآبائهم وقراباتهم المشركين في أول الإسلام اقتداء بإبراهيم الخليل، لأن الله نبه على أنهم قدوة لما أنزل الله: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ [الممتحنة: ٤]، إلى أن قال : إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ[الممتحنة: ٤].

يجب عدم التأسى به في هذا لأنه قاله في البداية، لكن لما علم أن أباه مصر على الكفر، أو مات على الكفر، لما تبين له ذلك، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ [التوبة: ١١٤]. ولا يمكن أن يدعو له بعد ذلك بالرحمة ولا بالمغفرة، ولذلك قال الله: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ [التوبة: ١١٣].

وبين الله تعالى موقف إبراهيم، فقال: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة: ١١٤]. إذًا لا يجوز الدعاء للكافر بالمغفرة والرحمة، ولذلك يقول بعض الجهلة العرب من يسمون بالمثقفين: ممكن واحد يقول: قال برناردشو رحمه الله، وممكن يكتب بعض الصحفيين العرب الجهلة أيضاً جون يرحمه الله، يعني: نصراني كافر، يكتب في الجريدة في الخبر يرحمه الله رحمه الله، أين الولاء والبراء؟ أين هذه الآية مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى [التوبة: ١١٣].

اذن العلاقة المقدسة –العلاقة عند الله– علاقة العقيدة، والميزان ميزان العقيدة، ولو واحد يعرف أن أباه على مات الكفر، أو أن أمه ماتت مشركة ما جاز له الاستغفار لهما، إبراهيم لما هدده أبوه، وطرده لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا [مريم: ٤٦].

قال: وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا [مريم: ٤٨]، سأجتنبكم، وأتبرأ منكم، ومن آلهتكم، وأتوجه إلى الله ربي وحده لا شريك له بالعبادة، داعيًا إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة، وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا عسي أن يسعدني الله بإجابتي دعائي، وهذه وظيفة الإنسان، إذا يئس ممن يدعوهم، ولم تنفع فيهم المواعظ، وأصروا في طغيانهم، فعليه أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله، وهذا

موقف اليوم كثيرًا ما يحدث للناس، واحد يكون في أهله أو مع أبيه مثلاً، أو مع أهله إخوانه أخواته، فيحاول أن يدعوهم، وهم يصرون، ويعرضون، ويكفرون.

وعندما فشل دعوة ابراهيم لإبيه في إقامة الحجة، ومناقشته في آلهته، ولا فائدة، قال: وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة: ١٠٥].

تنطبق هذه الآية على واقعنا، إذا رأينا الإصرار، ولم تنجع المواعظ، فعند ذلك ينشغل الإنسان بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله، ولما كانت مفارقة الإنسان لوطنه، ومألفه، وأهله، وقومه من أشق الأمور على نفسه، ولما كان انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر بهم، لما كان ذلك شيئًا مؤلما للنفس شاقًا عليها، وكان من ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه، فإن إبراهيم لما اعتزل قومه، وخرج من بيت أبيه، ومن مألفه، ومن موطنه، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا [مريم: ٤٩-٥٠].

إذًا جاء الخير من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ [مريم: ٤٩-٥٠] -أي لإبراهيم وبنيه- مِنْ رَحْمَتِنَا.

من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، وفيهم أنبياء وصالحون، وعلماء، ومجاهدون، وقادة في الخير وأئمة، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا [مريم: ٥٠]، فهذه كلها من الرحمة نشر الله لهم لسان ثناء عليهم في الآخرين، بحسب إحسانهم، نشر الله ذكرهم الحسن بين العالمين، فملأ ذكرهم الخافقين، وطبق الأرض الثناء عليهم، ومحبتهم لقد امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور متجددة، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الجمعة: ٤].

اعتمد إبراهيم عليه السلام مرتكزات منهجية أثناء حواره لأبيه، وهي

١-التلطف أثناء الحوار:

والمقصود بالتلطف في الحوار: ألا يستعمل الشخصُ من الكلام إلا الحَسَن، ولو قابله الآخر بالإساءة والغلظة، وأن يكون رفيقًا ليِّنًا في حواره معه، بهدف إقناعه والوصول إلى قلبه وعقله بعيدًا عن الرفض المرتبط بالشدَّة والدفاع عن النفس.

وقد بيَّن القرآن الكريم هذه الصفة في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٢-٤٣].

قال الزمخشري: «انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، كيف رتَّب الكلام معه في أحسن اتِّساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن(الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣/ ١٩).

٢-التركيز على القضايا الفاصلة والهامة:

تركيز إبراهيم عليه السلام كان واضحًا على القضايا الكبرى؛ وعلى رأسها إفراد الله جل وعلا بالعبادة التي من أجلها خلق الإنسان، وقضايا الإيمان؛ وخاصة يوم القيامة التي سيحاسَب فيه الناس.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إبراهيم لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤].

المحاور الذي يصرف وقته على الجزئيات لن يُثمر حواره، ولن يصل إلى غايته، وسيُخرجه خصمه من الأمور الرئيسة الهامَّة إلى التيه في الفرعيات، وضياع الوقت والجهد، ثم الانصراف عن أساس الدعوة.

فالجزئيات والفرعيات كثيرة لا تنتهي، والمحاور الذي يصرف وقته على الجزئيات لن يُثمر حواره، ولن يصل إلى غايته، وسيُخرجه خصمه من الأمور الرئيسة الهامَّة إلى التيه في الفرعيات، وضياع الوقت والجهد، ثم الانصراف عن أساس الدعوة.(ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٧/ ٣١٧)

٣-الوضوح في الطرح:

خاطب إبراهيم عليه السلام أباه وقومه بطريقة واضحة لا لبس فيها، على أنَّ عبادتهم متهافتة، ومعبوداتهم ضعيفة لا تستحق العبادة، دون مجاملة ولا تزييف ولا مداهنة، فقال لهم: ما هذه التماثيل التي مثلتموها، ونَحَتُّموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات ثم أنتم مقيمون على عبادتها؟ وأي فضيلةٍ ثبتت لها؟ وأين عقولكم، التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ فهذا من أكبر العجائب أنكم تعبدون ما تنحتون، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٥-٩٦].

٤-التدرج في الحوار:

تدرَّج إبراهيم عليه السلام في حواره لكي يصل إلى غايته وهدفه الذي رسمه، بدأ بالاستفسار، ثم بيَّن لهم حقيقة ما يعبُدون من دون الله، وبعد ذلك أراد أن يُبرهن لهم عمليا على عجز الأصنام التي عبدوها من دون الله، ليصلوا إلى دليل الوحدانية.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:٧٠-٧٣].

٥-إعطاء الفرصة للطرف الآخر في الحوار ليعبِّر عن رأيه:

في جميع المشاهد الحوارية كان إبراهيم عليه السلام طارحًا لعقيدته ومنهجه، مستمعًا وطالبًا لإجابتهم ودفاعهم عن عقيدتهم، محاوراً مناقشاً لهم في تلك الإجابة، مبيناً لهم زيف عقيدتهم وبطلانها، فالمحاور الذي لا يستمع أكثر مما يتكلم، سيُشعر الطرف الثاني بالغبن وعدم العدل، وقد يدفعه ذلك لادعاء أنَّه لم يأخذ حقه في عرض وجهة نظره أو دفاعه عن نفسه، ومن ثم قد لا يكون لحواره قبول عنده، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧٠-٧٤].

٨-الارتكاز والاستناد إلى الدليل:

ركّز إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حواره على ثلاثة أدلة:

دليل الفطرة: فطر الله الناس على دين التوحيد والتوجه بالعبادة إلى الخالق جل وعلا، ومحبة الخير وكراهة الشر، لذا استند إبراهيم عليه السلام إلى هذه الفطرة في حواره مع قومه لإعادتهم وتذكيرهم بالفطرة السليمة على وجود الله وعبادته ونبذ عبادة الأصنام والكواكب، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨١].

ففي هذه الآيات تنبيه ولفت الأنظار من إبراهيم عليه السلام إلى الخالق والرازق والشافي، وهي لفتات تُحرك الشعور وتُعيد الإنسان إلى فطرته الأصيلة.

دليل العقل: انطلق إبراهيم عليه السلام في حواره مع قومه من الدليل العقلي، واستخدم الحجج العقلية في نقض بنيان عقائدهم الباطلة، فالأوثان التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر لا تستحق العبادة لعجزها وافتقارها لمن يرعاها، وذلك يُعرف بالعقل والمنطق، فكيف تعبدونها؟ وتتركون عبادة الله الذي خلقها ودبَّر شؤون الخلق جميعاً؟!

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:٦٩-٧٣].

دليل الحس: حطَّم إبراهيم عليه السلام الأصنام إلا صنمًا كبيرًا نَسَبَ إليه تحطيم الأصنام، وطالب قومَه بأن يسألوا الأصنام عمن قام بهذا العمل، ليُثبت لهم حسيا، أنَّ ما يعبدون من دون

الله لا يستطيعون الكلام ولا الدفاع عن أنفسهم، لا يستحقون التقديس والعبادة، لأنهم عاجزين بالفعل عن الانتصار لأنفسهم، فكيف سينتصرون لغيرهم؟!

قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

والمحاور القوي هو الذي ينطلق في حواره بالاعتماد على الأدلة والبراهين التي تُثبت دعواه، فيرتكز عليها وتكون سندًا له.

ركّز إبراهيم عليه الصلاة والسلام في استدلالاته أثناء حواره على ثلاثة أدلة: ١.دليل الفطرة. ٢.دليل العقل. ٣.دليل الحس.

منهج إبراهيم بعد الحوار:

بعد أن انتهى الخليل عليه السلام من حواره مع قومه، عمل بما يمكن للداعية أن يعمل به بعد ظهور الرفض لدعوته، ومن ذلك:

١-الدعاء بالهداية:

وذلك لأنَّ الخصومة كانت في سبيل الله، ليست لمصالح شخصية، ولا أطماع مادية، فبقي حب الهداية في قلبه حتى مع المفاصلة، وقد خصَّ بذلك اباه لما له من قرابة ورحم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٦-٤٧].

ومعنى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ أي: ستَسْلم من خطابي إياك بالشتم والسبِّ وبما تكره، ومعنى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ أي: لا أزال أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، فلم يزل يستغفر إبراهيم لأبيه رجاء أن يهديه الله، فلمَّا تبين له أنَّه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئًا، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه. (السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٩٤).

عندما تكون الخصومة في سبيل الله ليست لمصالح شخصية، ولا أطماع مادية، يبقي حب الهداية في قلب الداعية حتى مع المفاصلة

٢-الصبر على الأذى الذي يقع بعد الحوار:

ينال الداعية في كثير من الأحيان الأذى بالقول أو الفعل، وخاصة إذا انقطعت حُجَّة الطرف الآخر، وهذا ما وقع لإبراهيم عليه السلام حينما انقطعت حُجَّة قومه، فقد أخذتهم العزة بالإثم وانصرفوا إلى طريق الغشم والغلبة، وقالوا حرِّقوه. (الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١١/ ٣٠٣).

قال تعالى: ﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ [الأنبياء:٦٨-٦٩].

فصبر على ذلك، وأوكل أمره لله تعالى ولجأ إليه، مفوضاً أمره إليه، فكان بعد العسر يسرًا، وبعد الصبر الفرج، والغلبة لأهل الحق في الدنيا والآخرة.

نستخلص من قصة إبراهيم مع أبيه جملة من الدروس نذكر منها: يجب أن يتحلَّى الداعية بأفضل الأخلاق ومكارمها، ويصبر على دعوة قومه. على المسلم الداعية أن يبدأ دعوته بأقرب الناس إليه و أن يُظهر لمن يدعوهم ضعف المعبودات من دون الله -تعالى-، وأنَّها لا تستحقّ العبادة وأن ينهى مدعوِّيه عن طاعة الشيطان التي ستؤدِّي به إلى عبادته في النهاية.

كما يتضح إنّ قصة إبراهيم عليه السلام مرجعٌ في الحوار، فمن أراد أن يتصدَّر هذا الفن فعليه أن يستعين بما ورد فيها من طرائق ومرتكزات؛ لكي ينجح ويصل إلى غايته في نقل الناس إلى الهداية والسلامة، ويكون على الطريق القويم.

النتائج:

بعد دراسة دور أسر الأنبياء في رسالاتهم خلص البحث الى النتائج التالية:

١-برزت أسر الأنبياء بجانبهم في كثير من الآيات القرانية وذلك نظرا الى دورها الايجابى أو السلبى وكان الغرض من سرد حكايات الاسر النبوية التنويه الى ما يتوجب على الناس من واجبات دينية مثل نصرة الدين واتباع الحق وتجنب الشرك

٢-ن تعددت أنماط الأسر النبوية الى نوعين فمنها ما كانت فيه الاسر ايجابية تناصر الانبياء مثل حكاية زكريا وزوجته وأيوب وزوجته ومنها ما كان دورها سلبيا مثل اسرة ابراهيم ع ولوط كع زوجته ونوح مع أبنه.

٣-اتضح من حكاية نوح مع ابنه كنعان عدة نقاط تربوى تبين دوره السلبى في تعامله مع رسالة ابيه اذ ان لم يناصرها بل خاصمها وفند الرسالة ودعا الى محاربتها وعلى النقيض من ذلك فان نوح سعى بكل جهد لإسلام إبنه وإصلاحه ونجاته وهذه الأمور تكشف للقارئ المسلم ما يتوجب عليه من نصرة الرسالات وعدم مكافحتها والتخلى عن الأهل الذين يحارب الدين بدافع الكفر كما يبين دور الأب المثالى في نصح إبنائه.

٤-اتضح من حكاية لوط مع زوجته ان على الزوجة المسلمة ان تؤمن بالله تعالى وتتجنب الكفر ولا تخالف الشريعة السماوية كما يتضح ان الزوج يجب ان يكون حازما مع الزوجة الخائنة في دينها لانه تسبب الهلاك.

٥-اتضح من قصة إبراهيم مع أبيه جملة من الدروس نذكر منها: يجب أن يتحلَّى الداعية بأفضل الأخلاق ومكارمها، ويصبر على دعوة قومه. على المسلم الداعية أن يبدأ دعوته بأقرب الناس إليه و أن يُظهر لمن يدعوهم ضعف المعبودات من دون الله -تعالى-، وأنَّها لا تستحقّ العبادة وأن ينهى مدعوِّيه عن طاعة الشيطان التي ستؤدِّي به إلى عبادته في النهاية.

٦-كما يتضح إنّ قصة إبراهيم عليه السلام مرجعٌ في الحوار، فمن أراد أن يتصدَّر هذا الفن فعليه أن يستعين بما ورد فيها من طرائق ومرتكزات؛ لكي ينجح ويصل إلى غايته في نقل الناس إلى الهداية والسلامة، ويكون على الطريق القويم.

واذاما اردنا تقديم توصيات للبحوث المستقبلية أو للتطبيق العملي خول موضوعنا:

توصي الدراسة بإجراء مزيد من البحوث حول دور أسر الأنبياء في رسالاتهم، مع التركيز على الجوانب التربوية. كما توصي بتبني مناهج تربوية مستمدة من تعامل الأنبياء مع أسرهم..

المصادر:

أبو حيان الأندلسي، ١٤٢٠هـ، البحر المحيط في التفسير، بيروت، دار الملايين للنشر.

البوحاج،اسماء٢٠١٠، خطاب الرسل والأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم: عيسى عليه السلام أنموذجا، المغرب، دار البيضاء، .

البوطي،محمد سعيد رمضان، ١٩٩٨، من روائع القرآن، بيروت: دار صادر

الجوابي، محمد طاهر، ٢٠١٥، المجتمع والأسرة في الإسلام الطبعة الطبعة: الثالثة، الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

الحارثي، فهد محمد الشعابي، ٢٠٢٠، معالم التربية بالحب في القرآن الكريم: خطاب الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم في سورة الأعراف أنموذجا، الرياض.

الرازى، فخر الدين، ٢٠٠٠، مفاتيح الغيب، مص:، مطبعة الازهر

الزمخشري، عمر، ١٩٩٨، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار صادر .

السيد قطب، ٢٠٠٠، في ظلال القرآن، مصر، مطبعة الازهر السيوطي، الدر المنثور، بيروت: دار الفكر.

سماره،ساجدة، ٢٠١٦، العلاقات الأسرية في الإسلام ودورها في بناء المجتمع، بيروت: دار صادر.

الشايع، خالد بن عبد الرحمن، ٢٠١٠ ، لمحات من حياة النبي مع بناته، بيروت: دار الملايين للنشر

الطبري، محمد، ١٤٢٢هـ، جامع البيان، بغداد: مطبعة الرشيد.

عليوه، رجب، ٢٠١٩، متطلبات تفعيل دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية في ضوء تحديات المجتمع المعاصر، الجزائر: مجلة كلية التربية.

الغامدي، عبد الله بن أحمد بن غرم الله، ٢٠١٥، أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الخلق في القرآن الكريم ف السعودية، مطبعة الرياض.

الغامدى،عبدالرحمن، ١٤١٨، دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، الرياض، دار الخرجين.

القاسمي،محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق١٤١٨، محاسن التأويل تفسير القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

الكبيسي،أحمد، ٢٠٠٧م ، من أنباء القرى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

المجلسي، محمد ، ١٣٨٤ش، حياة القلوب، مشهد، مطبعة العترة

محمد عبدالسلام محمد، ٢٠١٥،العلاقات الأسرية في الإسلام؛ مصر.

مريجي،شمس، ٢٠١٠، دور الأسرة في الحد من الانحرافات الاجتماعية، المجلة الثقافية.

:Sources

-Beirut, Dar al ،Tafsir-Muhit fi al-Bahr al-AH, Al ١٤٢٠Andalusi, -Abu Hayyan al .Mala'een Publishing House

The Address of the Messengers and Prophets to Their ،٢٠١٠Bouhaj, Asmaa, -Al -Peoples in the Holy Qur'an: Jesus, peace be upon him, as a Model, Morocco, Dar al .Bayda

Masterpieces of the Qur'an, From the ،١٩٩٨Bouti, Muhammad Sa'id Ramadan, -Al .Beirut: Dar Sadir

rd Edition, ٣Society and the Family in Islam, ،٢٠١٥Jawabi, Muhammad Tahir, -Al .Kutub for Printing, Publishing, and Distribution-Riyadh: Dar Alam al

cation through Landmarks of Edu ،٢٠٢٠Sha'abi, -Harithi, Fahd Muhammad al-Al Love in the Holy Qur'an: The Address of the Prophets, peace be upon them, to their

Keys to ،٢٠٠٠Din, -Razi, Fakhr al-A'raf as a Model, Riyadh. Al-Peoples in Surat al Azhar Press-the Unseen, Egypt, Al

Tanzil, Beirut: Dar -Haqa'iq Wagami' al Kashaf 'an-Al ،١٩٩٨Zamakhshari, Omar, -Al .Sadir

-Suyuti, Al-Azhar Press. Al-In the Shade of the Qur'an, Egypt, Al ،٢٠٠٠Sayyid Qutb, .Fikr-Manthur, Beirut: Dar al-Durr al

،Family Relations in Islam and Their Role in Building Society ،٢٠١٦Samara, Sajida, .Beirut: Dar Sadir

Glimpses from the Life of the Prophet ،٢٠١٠Shaya, Khalid bin Abdul Rahman, -Al Mala'een Publishing-with His Daughters, Beirut: Dar al

Rashid Press-Bayan, Baghdad: Al-AH, Jami' al ١٤٢٢Tabari, Muhammad, -Al

for Activating the Role of the Family in Requirements ،٢٠١٩Aliwa, Rajab, Socialization in Light of the Challenges of Contemporary Society, Algeria: Journal of the College of Education

The Etiquette of the ،٢٠١٥Ghamdi, Abdullah bin Ahmed bin Gharm Allah, -Al be upon them) with Mankind in the Holy Qur'an in Prophets (peace and blessings .Saudi Arabia, Riyadh Press

AH, The Role of the Muslim Family in Raising ١٤١٨Ghamdi, Abdulrahman, -Al .Kharijeen-Their Children During Adolescence, Riyadh, Dar Al

Risala Foundation, first -f Villages, AlCE, From the News o ٢٠٠٧Kubaisi, Ahmad, -Al .edition

.Utra Press-Qulub, Mashhad, Al-AH, Hayat Al ١٣٨٤Majlisi, Muhammad, -Al

.Family Relations in Islam, Egypt ،٢٠١٥Salam Muhammad, -Muhammad Abd Al

-Deviations, Al The Role of the Family in Reducing Social ،٢٠١٠Marji, Shams, .Thaqafiya Magazine